

وأما قصة هاروت وماروت الواردة في القرآن الكريم فليس فيها ما يطعن بالملائكة ويخل بعصمتهم ، وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء ثم يضمنون إلى ما سمعوه أكاذيب يلقونها ويلقونها إلى الكهنة من الإنس ، وجعلت الكهنة يدونونها في كتب ويقرءونها ويعلمونها الناس ، وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام ، حتى صاروا يقولون : إن الجن يعلمون الغيب ، وإن هذا العلم هو علم سليمان عليه السلام ، وإنه ما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم ، وبه سخرت له الجن والإنس والطيور . فأنزل هذان الملكان لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس وللتمييز بين السحر وبين المعجزة ، وظهور الفرق بين كلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبين كلام السحرة<sup>1</sup> وإليه الإشارة بقوله تعالى إخباراً عنهما : { إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ } {

قال العلامة الرازي في هذه الآية : يعني إنما نعلمكم السحر لتتوصلوا به إلى الفرق بين المعجزة والسحر ، فلا ينبغي أن تستعملوا هذا السحر في أغراضكم الباطلة ، فإنكم إن فعلتم ذلك كفرتم . فالحاصل أنه تعالى إنما أنزلهما ليحصل بسبب إرشادهما الفرق بين الحق الذي جاء سليمان وأتم له الله به ملكه ، وبين الباطل الذي جاءت الكهنة به من السحر ، ليفرق بين المعجزة والسحر<sup>2</sup> اهـ

قال الله تعالى : { وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا<sup>3</sup> الشَّيَاطِينُ } يعني أن فريقاً من اليهود المخبر عنهم في الآيات السابقة نبذوا كتاب الله تعالى وهو التوراة ، واتبعوا كتب السحر التي كانت تقرؤها الكهنة { عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ } أي على عهده وزمان ملكه { وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ } فيه تكذيب للشياطين ودفع لما اتهم به سليمان من اعتقاده السحر واعتناقه إياه وعمله ، كما أشيع عنه من قبل الكهنة { وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ } إغواء وإضلالاً ،

انظر ذلك في تفسير البيضاوي والنسفي والخازن والألوسي وغيرها .<sup>1</sup>

انظر كتاب الأربعين للفخر الرازي .<sup>2</sup>

وهو حكاية حال ماضية ، والأصل { تلت } وقول الكوفيين : إن المعنى ما كانت تتلو :<sup>3</sup> محمول على ذلك ، لا أن : { كانت } هناك مقدره . اهـ من تفسير روح البيان وغيره

قال العلامة البيضاوي : والمراد بالسحر – أي هنا في الآية – ما يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان ، مما لا يستقل به الإنسان ، وذلك لا يستتب – أي لا يتم – إلا لمن يناسبه – أي الشيطان – في الشرارة وخبث النفس ، فإن التناسب شرط في التضام والتعاون . اهـ .

{ وَمَا أَنْزَلَ<sup>4</sup> عَلَى الْمَلَائِكَةِ } يعني أنهم يعلمون الناس السحر ، ويعلمونهم ما أنزل على الملكين ، أو المعنى أن اليهود اتبعوا ما تنزلوا الشياطين من السحر ، واتبعوا ما أنزل على الملكين { بَبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ } اسمان علمان<sup>5</sup> بيان للملكين . والذي أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس وليفرقوا بين السحر والمعجزة كما تقدم .

{ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ } يعني أنهما ما يعلمان أحداً حتى ينصحا ويقولا له إنما نحن ابتلاء من الله تعالى ، ومحنة واختبار { فَلَا تَكْفُرْ } .

قال العلامة البيضاوي وغيره في تفسير قوله تعالى : { وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ } أي : وما يعلمان أحداً حتى ينصحا ويقولا له إنما نحن ابتلاء من الله ، فمن تعلم منا – أي السحر – وعمل به كفر ، ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الإيمان ، فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به . اهـ ونقل ذلك العلامة الألوسي في تفسيره بالنص .

{ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ } أي علم السحر الذي يكون سبباً في التفريق بين الزوجين ، بأن يخلق الله تعالى عند ذلك النفرة والخلاف بين الزوجين ابتلاء منه سبحانه { وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ } لأن السحر وغيره من الأسباب لا تؤثر بالذات بل بأمره تعالى ومشيرته وخالقه . وقد أمر الله تعالى بالتعود من شر النفوس الساحرة النفاثات في العقد كما جاء في سورة الفلق .

4 جاء في تفسير البيضاوي وغيره : وقيل : [ ما ] نفي معطوف على قوله { وما كفر سليمان }<sup>4</sup> اهـ .

5 وهما أعجميان ، منعا من الصرف للعلمية والعجمة ، وقيل : عربيان من الهرت والمرت ، بمعنى الكسر ، ويشكل عليه منعهما من الصرف ، وليس إلا العلمية ، وتكلفه بعضهم فقال : يحتمل أنهما معدولان من الهارت والمارت اهـ من روح المعاني وغيره .

وفي ذلك دليل على أن للسحر حقيقة ، وأن له تأثيراً ، كما عليه أهل السنة ، ولكن بإذنه تعالى ومشيئته وخلقه . وليس هذا موضوع بحثنا حتى نفضله .

وقد نبه أكابر العلماء العارفين إلى أن إبليس ليس هو أباً أولاً للجن ، كما يتوهم بعض الناس ، وإنما هو – أي إبليس – واحد من الجن ، قال تعالى :

{ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ .. } الآية ، وأما أبو الجن الذي هو كآدم عليه السلام للبشر ، فإنه غير إبليس<sup>6</sup> .

---

انظر فتوحات الشيخ الأكبر ، وواقيت الشيخ الشعراني وغيرهما ، فليس إبليس أول الجن ،<sup>6</sup> ولكنه أول أشقياء الجن ، أي أول من شرطن من الجن ، كما أن قابيل أول أشقياء الإنس . فمن كفر من الجن سمي شيطاناً جنياً ، ومن لم يكفر منهم يسمى جنياً ، كما أن من كفر من الإنس سمي شيطاناً إنسياً ، ومن لم يكفر فهو إنسي ، قال تعالى : { شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوجِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا } . وقد أمر سبحانه بالتعود من شر الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس ، من الجنة والناس . وفي المسند عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : [ يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن ] قلت : يا رسول الله وللإنس شياطين؟! فقال : [ نعم ] .